

الفرق الدينية في صدر الخلافة الاسلامية

— للدكتور مير ولي خان المسعودى —

ظهور الفرق الاسلامية :-

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا و نذيرا - و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا، فبلغ الرسالة و أدى الامانة ثم لحق بالرفيق الاعلى و ترك المسلمين على الحجة الواضحة، و بين أيديهم كتاب الله لا يضلون ان تمسكوا به، ثم افترق المسلمون فرقا و تعددت نحلهم و تباينت مذاهبهم فما سبب هذا الافتراق وما سبب تلك الفرق المتصارعة و المتقاتلة ؟

ذلك موضوع مقالتي هذه، و أحب قبل كل شئ أن أتعرض الى العوامل و الظروف التي انجبت هذه الفرق و أن أضع بين أيدي القراء ما دار فيها و ما اعتنقت كل فرقة من المذاهب المختلفة و الاراء المتشعبة و الافكار لمتضادة -

قال الشهرستاني : و أعظم خلاف بين الامة خلاف الامة على الامة اذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينة مثل ما سل على الامة في كل زمان فكانت الامة اول مسألة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين و تشعبت فيها آراؤهم و تكونت حولها أهم الفرق الاسلامية بعد خلافة الخلفاء الراشدين في صدر الدولة - الاموية، و هذه الفرق هي : (١) الخوارج (٢) الشيعة (٣) المرجئة (٤) المعتزلة و اكتفيت في هذا البحث ببيان أسباب افتراق المسلمين الى احزاب متفرقة التي نشأت عنها أهم الفرق الاسلامية و التي مزقت وحدة المسلمين شر تمزيق

والتي أوقفت كل فرقة تحارب أخرى و تعادى أفراد بعضها بعضا أشد المعاداة -
ثم بينت في مقالتي هذه آراء هذه الفرق الاسلامية المتعارضة و مذاهبتها الا ساسية
التي اصبحت فيما بعد مذهبها مستقلا و عقيدة يختص بكل فرقة التي تؤيده والتي
تدافع عنه بكل قواها - و انى أرى من الصواب أن آخذ بسامعى الكرام الى ذلك
العصر الذى نشأت فيه هذه الفرق، و أحب أن أقف بحضراتكم قليلا عند الخلفاء
الراشدين الذين أوقفوا أنفسهم و أموالهم فى سبيل الله ليظهر لسيادتكم مبدأ
الخلاف وليتضع لحضراتكم أن هذه الفرق تبدأ أصول بعضها بعد وفاة النبى ص
مباشرة، و لكن قرب عهد النبى ص وقوة الايمان غلبت على نفوس أصحابها فلم تظهر
بصورة واضحة و لم يتعصب فى ذلك الوقت أصحابها مثل ما تعصبوا فيما بعد،
لذلك لم يكن لهذا الاختلاف الذى جاء بعد وفاة النبى ص على الخلافة الاسلامية
أثر يضر الاسلام و يمزق الوحدة الاسلامية، بل كان اختلافا فى الرأى فقط لذلك
لم يؤد الى القتال خلاف الامة الاسلامية على الامامة :-

توفى رسول الله عليه السلام و لم يعين من يخلفه و أسرع الانصار قبل
دفنه الى عقد اجتماع فى سقيفة بن ساعدة ليبتوا فى الامر، و أدركهم أبو بكر
و عمر و أبو عبيدة بن الجراح خشية الا ينظر الانصار فى الامر الا من
جانبهم، و حدث ما حدث من الجدل فى هذه المسألة بين المهاجرين و الانصار
و تغلبت قوة الايمان على رغبات النفوس و أقروا على الخلافة أمثلهم و أقواهم
ايمانا و هو أبو بكر، و لم يكن على بن أبى طالب حاضرا فى هذا الاجتماع
لاشتغاله هو و أهل بيته فى تجهيز رسول الله، فلما بلغه خبر البيعة لم يرض عنها
و امتنع زمنا لأنه يرى أن الخلافة يجب أن تكون فى بيت النبى خاصة و أقرب
الناس الى النبى حينئذ عمه العباس و ابن عمه على بن أبى طالب، ولكن العباس

أسلم متأخرا وحضر غزوة بدر مع المشركين، فأولى الناس بالقرابة على بن أبي طالب، فهو من أول الناس اسلاما وجهاده في الاسلام مشهور و علمه غير النكر و فوق ذلك فهو زوج فاطمة البتول، وحجة على و من معه أن اقرب الناس الى النبي أولاهم بالخلافة قوله تعالى : ”و أولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، و أن المهاجرين قد احتجوا على الانصار بانهم قوم النبي و عشيرته، كما جاء في نهج البلاغة أن عليا سال عما حدث في سقيفة بنى ساعدة فقال : ”فماذا قالت قريش؟“، قالوا : احتجت بانها شجرة الرسول، فقال : ”احتجوا بالشجرة و أضعوا الثمرة، يريد أن المهاجرين احتجوا بانهم من شجرة النبي، فأولى بالا حتجاج من يجمعهم و النبي ص، أنهم من ثمرة قريش و هم قرابته الاقربون، و سواء أضح هذا القول عن علي أم لم يضح فانه تعبير صادق عما كان قد قر في نفسه من معان تابعه و أيده فيها جماعة من الصحابة منهم سلمان الفارسي، و ابو ذر الغفاري، و المقداد بن الأسود، و عمار بن ياسر، و جابر بن عبدالله، و العباس و بنوه و غيرهم، فكان ذلك نواة حركة التشيع -

و بذلك تكون حول الخلافة ثلاث نظريات، نظرية تقول : ان الخلافة لقريش و غير قريش، و هي التي قال بها الانصار، و نظرية أبي بكر و من معه تلك النظرية التي تقول : ان الخلافة في قريش، و نظرية علي و من معه التي تقول : ان الخلافة في بيت النبي خاصة -

ولم يدم هذا الخلاف طويلا، فان النظرية الثانية تحققت بمبايعة أبي بكر و سكن الرأي الاول حتى نادى به الخوارج، و خمد الرأي الثالث حتى استيقظت الفتن في عهد عثمان، و ذهب ضحيتها - بيعة علي و معارضته :-

و لما قتل عثمان رضى الله عنه بايع عليا كثير من المسلمين، و رأى ابن

أبى طالب أن بيعته انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم و موطن الصحابة، و رأى جماعة من الصحابة ان بيعته على لم تنعقد لتفرق الصحابة أهل الحل و العقد بالافاق و لم يحضر الى المدينة الا عدد قليل منهم، ولا تكون البيعة الا باتفاق أهل الحل و العقد جميعهم، ولم يقتصر الامر على ذلك، بل ان بعضهم الصق بعلى تهمة أن له ضلعا فى قتل عثمان، و على أقل تقدير أنه قعد عن نصرته و كان فى استطاعته رد الناس عنه، و ان لم يكن هذا و لا ذاك فهو قد أوى قتلته فى جيشه فيجب عليه أن يقتص منهم و بناء على هذه التهمة خرج على على كل من طلحة و الزبير و ام المؤمنين عائشة و معاوية ابن أبى سفيان، و قال كل من طلحة و الزبير انه أولى بالمطالبة بدم عثمان لانه من السنة الذين انخبهم عمر للشورى، و من السابقين - الاولين فى الاسلام، و يقول معاوية : انه أولى الناس بعثمان رحما و أقوى أهل بيته بالمطالبة بدمه - واشتد هذا الخلاف وهو المطالبة بدم عثمان ظاهرا، و الوصول الى زمام الخلافة باطنا - كان معاوية يطالب عليا فى الظاهر بان يقتص من قتلة عثمان و قد اكتسب بذلك - عطف الخواص و جذب الى نفسه الجمهرة، و خاصة أهل الشام الذين كانوا تحت امرته فى ذلك الوقت -

والحقيقة أن معاوية كان يطمع فى الخلافة، و كان يريد أن ينتزعها من على الى نفسه - ذلك ان عليا لم ينكر عن وجوب القصاص، ولم يقعد عن قتلة عثمان، بل كان يرى أن يحقق اولا فى الامر تحقيقا كاملا، و استحسّن أن يقتص من قتلة عثمان بعد أن يعرفهم حق المعرفة و بعد أن يقيم عليهم الشهود وفق الشريعة، و رأى أن يوخر هذا الامر الى أن تهدأ تلك الثورة العارسة التى زعزعت كيان الخلافة الاسلامية و التى جعلت المدينة المنورة فوضى، و قلبت النظام فيها رأسا على عقب -

و فوق هذا و ذلك كان على معاوية ان يطيع عليا و يخضع لامره و يسلم خلافته
اولا ثم يطالبه بدم عثمان لولم يكن له طمع فى الخلافة، و لكن معاوية اشترط على
على أن يقتص من قتلته عثمان قبل أن يطيعه، و هذا شرط لا يقبله عقل سليم
اذ القصاص بدون التحقيق غير جائز فى الاسلام - و أصبح فيما بعد موقف معاوية
قويا اذ خرج على على كل من طلحة و الزبير و أم المومنين عائشة مطالبين بدم عثمان
و اشتبكوا معه فى موقعة الجمل التى قتل فيها كبار الصحابة و عدد كبير من
المسلمين، ذلك أن الشك قد تسرب الى قلوب كثير من المسلمين فى صحة خلافة على -
و الواقع ان خلافة على كانت صحيحة شرعية لا شك فيها - ذلك أن كبار الصحابة
و جمهور الناس فى المدينة المنورة قد بايعوا عليا، و هذا يكفى لشرعية الخلافة،
والا فيقع الشك فى خلافة الخلفاء السابقين الثلاثة أيضا، اذا لم يجمع على بيعتهم
جميع المسلمين بل بايعهم من حضر فى المدينة المنورة -

المرجئة :-

و وجدت فى هذا الموقف طائفة قليلة من كبار الصحابة لم تبائع عليا و ام
تبائع غيره و لم تشترك فى شىء من الفزاع القائم و فضلت العزلة لانه لم يظهر
لها وجه الحق، و من أشهر هؤلاء سعد بن أبى وقاص- و عبدالله بن عمر، و محمد بن
مسلمة، و اسامة بن زيد، و أبو سعيد الخدرى، و حسان بن ثابت، و مسلمة بن
مخلد، و عبدالله بن السلام و النعمان بن بشير، فهذا الفريق امتنع عن الخوض
فى الحروب التى وقعت بين الطائفتين و لم يعنوا انفسهم بالبحث عن المحق
فى الطائفتين المتقاتلين، و بهذا أرجأوا الحكم فيهم و فوضوا امرهم الى الله
فكانوا بهذا نواة المرجئة،

رى المرجئة في المسائل الدينية :-

علمنا مما تقدم أن فكرة الارجاء قد نبتت منذ أن اختلف المسلمون على عثمان، وتفاقت الفتن، و ذهب الخليفة ضحيتها - عظم امر المرجئة في العصر الاموى ثم في العصر العباسى و لم تقف هذه الفرقة موقف الحياد فى جميع الامور بل دخلت فى النقاش مع الفرق الاخرى فى المسائل الدينية و أصبحت المرجئة فرقة مستقلة فى العصر الاموى و العباسى، وتكونت عندها عقيدة خاصة فى المسائل الدينية، ورأت فيها رأيا يخالف آراء الفرق الاخرى، اذ قالت المرجئة : ان مرتكب الكبيرة لا يكفروان الايمان هو: تصديق بالقلب و اقرار باللسان، وليس الاتيان بالفرائض والكف عن الكبائر، و طاعة الامام جزأ من الايمان كما قال به الشيعة - و تعتقد المرجئة، أن المومن مرتكب الكبيرة لا يخلد فى النار، وبهذا خالفوا المعتزلة و الخوارج الذين يقولون بتخليده فى النار - و ذابت آراء المرجئة فى آراء الفرق الاخرى اما لعدم اقبال الناس عليها، و اما لاضطهاد العباسيين لهم - لذلك لا يكاد يعلم على وجه التحديد كيف انقرض افراد المرجئة الخالص و متى تبدد كيان فرقتهم ؟

الخوارج :-

ولما كانت موقعة الصفين و اشتد القتال فيها بين المسلمين و أخشى معاوية بالهزيمة، أشار عمرو بن العاص على معاوية برفع المصاحف على روس الرماح قائلا له : انه لا يزيدنا الا اجتماعا - ولا يزيدهم الا فرقة : فوافق معاوية على ذلك و أوغر الى جنوده برفع المصاحف على رؤس الرماح، و طلب التحكيم الى كتاب الله - ولما فعل أهل الشام ذلك وقع الخلاف فى صفوف جيش على، ففريق يرى أنه ينبغى قبول هذا العرض، لانه انما يجاربون لاعلاء كلمة الله و قد دعوا اليها، و كان على رأس هذا الفريق الاشعث بن قيس الكندى و فريق آخر

يرى وجوب مواصلة القتال لانها خدعة حربية لجا اليها معاوية و أصحابه حينما أحسوا بالهزيمة، وبعد جدال و تردد قبل على التحكيم على الرغم منه، لأن أغلب جنده يرى قبول التحكيم، فوقف القتال، و كتب عقد التحكيم، ذلك التحكيم الذى كان له أخطر النتائج فى تاريخ الاسلام، و أعلنت الهدنة لمدة ستة أشهر الى أن يجتمع الحكمان - أبو موسى الأشعري و عمرو بن العاص،

كان قبول على التحكيم سببا فى خروج فريق من جنده عليه، يرى ذلك الفريق أن التحكيم خطأ، و أن حكم الله فى الامر واضح جلى، فان اقامة على صحيحة و أن هؤلاء بغاة يجب قتالهم، و التحكيم يتضمن شك كل فريق من الفريقين المتحاربين و ليس بصحيح هذا الشك لا نهم و قتلهم انما حاربوا و هم مومنون بلاشك أن الحق فى جانبهم، و هذه المعانى صاغها عروة بن أديّة من بنى تميم فى عبارة "لا حكم الا لله"، وصاح بها فى وجه الأشعث حينما جاء اليهم يتلو عليهم كتاب التحكيم، فكان عروة أول من حكم، فسرت هذه الجملة كما يسرى الورق الى كل من يعتنق هذا الراى، و أصبحت شعار طائفة الخوارج، و من هنا نشأت فرقة الخوارج بشكل واضح متميز، تلك الفرقة التى ناصبت ابن ابي سفيان العدا، و أصبح على فى موقف لا يغبط عليه، و قاسى من وراء ذلك ما قاسى، و زاد الطين بلة أن التحكيم لم يكن فى صالح على بل كان فى صالح معاوية لانه رفع مرتبة الى مرتبة على، و قد استغل معاوية تلك النتيجة استغلالا طيبا لتحقيق أغراضه و الوصول الى الحكم -

اراء الخوارج :-

ظهر لنا بما تقدم أن فرقة الخوارج جماعة من جند على اعتزلته بعد رجوعهم من موقعة الصفين، و اجتمعوا بالنهروان تحت قيادة عبدالله بن وهب الراسبي،

و جرقوص بن زهير البجلي - كان معظم الخوارج من عرب البصرة و الكوفة و قبيلة تميم الذين تغلب عليهم صفات البداوة فعرفوا لهذا بالشجاعة، و ضيق الفكر، و توطين النفس على المكاره -

كان الخوارج مخلصين في الدين أشد الاخلاص و فيهم اتقياء ورعون - وكانت لهم مواقف بارزة في الحروب التي دارت بينهم و بين على رض و التي وقعت بينهم و بين الخلفاء الا سويين زهاء عشرين عاماً - و يمكن أن نلخص آراء الخوارج الدينية فيما يأتي :-

١ - اعترف الخوارج بخلافة أبي بكر و عمر و بعد هما اعترفوا بخلافة عثمان تغيير و تبدل في رأيهم فكفروه و نقضوا الاعتراف ببيعته، ثم اعترفوا من بعده بخلافة علي حتى قبل التحكيم ففضوا بكفره و كفر الحكمين و أصحاب الجمل، و انتقلوا من هذا الى القول بان الولاة الظلمة من معاوية و قومه كفار، و يجب أن يقابل كفرهم و ظلمهم بالخروج عليهم جهاراً -

٢ - رأى الخوارج أن أحق الناس بالخلافة أصلحهم لها قريشياً كان أو غير قريشياً، عربياً كان أو غير عربياً -

٣ - ليس الايمان عند الخوارج عقيدة فحسب، و انما هو عقيدة و عمل فمر تكب الكبيرة كافر عندهم -

٤ - اعتقد الخوارج أن عمل الخير و ترك الشر فقط لا يكفي للمؤمن، بل يجب عليه الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و بهذا الاعتقاد حارب الخوارج علياً و معاوية، اذ رأوهما على غير حق -

و ظل الخوارج بعد ذلك على رأى واحد في تكفيرهم علياً، و عثمان ،

وأصحاب الجمل، ومن رضى بالتحكيم، وفي تجويزهم أن تكون الامامة في غير قريش وإيجابهم عزل الاسام الجائر أو قتله، وفي تكفيرهم كل ذى معصية من المسلمين، حتى ظهر نافع بن الازرق فانقسموا الى طوائف عدة و قد بلغ عددهم الى عشرين طائفة منها :-

١ - الأزارقة : وهى أتباع نافع بن الازرق الحنفى المكنى بابى راشد، وقد قضى نافع بكفر الخوارج الذين تخلفوا عنه ولم يهاجروا معه -

٢ - النجدات (العاسرية) وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفى، وقد عرف هؤلاء بالنجدات - ولم تشترك النجدات مع الازارقة فى القول بتكفير من لم يهاجر اليهم من اخوانهم، وانما كانوا يرون جواز الاقامة بين الاعداء -

٣ - الصفرية :- وهم أصحاب زياد بن الاصفر، وقد كانوا يعترفون بامامة عبدالله بن وهب الراسبى، و حرقوص بن زهير البجلي، فلما قتل يوم النهروان ولوا بعده أبا هلال مرداس بن أبدية، وكان أخا لعروة بن أدية، الذى سبق الحديث عنه -

٤ - الشيبية :- وهى جماعة شبيب بن يزيد الشيبانى - اشتبكت هذه الفرقة مع الحجاج فى معركة داسية فى سوق الكوفة و تغلب جند الحجاج عليهم وقتل منهم ما قتل و طرد الباقون من الكوفة، ثم تبعهم الحجاج فاسرهم و قتل أم شبيب التى قامت بقيادة الخوارج بعد قتل ابنه شبيب -

و بذلك قضى الحجاج على الخوارج فى الوقت الذى أباد المهلب الازارقة فتخلصت الدولة الاموية من خطر جسيم ظل يهدد كيانها زهاء عشرين عاما، سيطر فيها الخوارج على شريك الدولة الاسلامية، و لم يقم فيها حكومة غير حكومة

الخوارج - وقد تساهل بعد ذلك الاباضية من الخوارج مع الدولة الاموية، اما لضعفهم، واما لا تساع أفقهم العلمى - و مهما يكن من شئى فقد قلم الامويون أظفار الخوارج، و ان كان هذا التقليل قد استنفد من الدولة، العظيم من الجهود، و الطائل من الاموال، نشاط ملحوظ، جعل قوة الامويين تتبدد - و لهذا السبب لم تصمد الخلافة الاموية طويلا فى وجه الخطر العباسى الذى كان يزحف من الشرق الذى كان موطن الخوارج و مركزهم خلال الدولة الاموية -

” الشيعة ”

الشيعة فى اللغة : الصحب و الاتباع، و فى عرف الفقهاء - أنصار على و أعوان بنيه المتحمسون للدفاع عنهم و العمل على اسناد الخلافة اليهم -

و قد بدأ التشيع جمعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كانوا مخلصين فى حبهم لعلى كرم الله وجهه، و من أشهرهم سلمان الفارسى، و أبوذر الغفارى، و المقداد بن الاسود، و عمار بن ياسر، و أبى بن كعب، و جابر بن عبد الله، أبو رافع مولى رسول الله الذين كانوا ينصرون عليا و يرون أنه أحق الناس بخلافة ابن عمه و صهره رسول الله، لائن الخلافة فى رأيهم ميراث أدبى أولى به قرابته الاقربون، ولو كان النبى يورث ماديا لورثه هؤلاء و الله تعالى يقول : ” و أولى الا رحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله، -

و قد تطورت هذه الفكرة الشيعية مع الزمن حتى صار التشيع بعد فترة مبادئ معقدة، و أراء متشعبة، و كان حزب الشيعة كغيره من الاحزاب ينضم اليه المخلص لمبادئه و غير المخلص لها، ممن كان يرى أن فى انضمامه اليه مصلحة له أو لقومه، و قد تشيع كثيرون ايمانا بحق على و ولده فى الامامة، كما تشيع الموالى

لتبرسهم من تركز النفوذ والسلطان في ايدي الا مويين من العرب الذين حرموهم من تقلد الوظائف العامة في دولتهم، فمالوا الى أعدائهم من الشيعة و قد اندس في صفوف الشيعة مع هؤلاء بعض من كان يبغى الكيد للاسلام و من كان يريد ادخال تعاليم أبائه في الاسلام من يهودية و نصرانية و زراد شتية و هندية، و اتخذ هؤلاء و أولئك من حب آل البيت ستارا ينفثون من ورائه في صدور العامة من المسلمين سموهم، فتردد بسبب ذلك صدى هذه الديانات القديمة في مبادئ بعض الفرق الشيعية و تعاليمهم حتى زلت بكثير منها القدم و حادت عن التعاليم الدينية الحنيفة السمحة -

”المبادئ العامة“ للشيعة،

تعتقد الشيعة أن الامامة ركن من أركان الدين و قاعدة أساسية للاسلام، فوجب على النبي عليه السلام أن يعين الامام قبل وفاته، و قد عين الرسول عليا خليفة للمسلمين بعده، و أنه صرح بذلك اما بالوصف كما قاله البعض، و اما بالوصف و الاسم الصريح كما قاله البعض الاخر- و أفضل الصحابة عند الشيعة على كرم الله وجهه، و قد غلا بعضهم فيه فنسبوا اليه العلم بالمغيبات، و غير ذلك -

التقية :

كلمة التقية في اللغة الحذر و الكتمان، و في الاصطلاح هي محافظة المرء على عرضه أو نفسه أو ماله مخافة العدو فيظهر غير ما يضمير، فهي مداراة و كتمان و تظاهر بغير الحقيقة خوفا من العدو- و جعل الشيعة التقية مبدأ أساسيا في حياتهم، و جزأ مكملًا لتعاليمهم توصوا به و رووا فيه عن أئمتهم الشيء الكثير، و من ذلك قولهم :- ”الكتمان جهادنا، و ”لا دين لمن لا تقية له،- و لهذا كان الشيعة اذا ما أحسوا خطرا من كافر أو سني داروه، و جادوه، و أظهروا له الموافقة تقية، و

قدر أننا أن أساس أحداثهم التاريخية فى الا غلب هو امام مختلف يدعو الناس الى نفسه من وراء ستار، و يبت دعائه فى الا مصار لياً خذوا له البيعة ممن يستجيبون لدعوته، و يكالبونهم مع ذلك بالكتمان والتظاهر بطاعة أولى الامر، و اداء ما يكلفونهم به على أحسن وجه، كيلا يشكوا فى سلوكهم الى أن يكمل الامام استعداداه و يحين وقت خروجه -

” أشهر الفرق للشيعه “،

١ - السبئية :-

هم أصحاب عبدالله بن سبأ من يهود صنعاء، يعتقد السبئية أن عليا وصى النبى، و يغفلون فى تقديسه فيقولون : ان جزأ الهيا قد حل فى على، و المهدي المنتظر عند السبئية هو على كرم الله وجهه، و يقولون برجعة على ايضاً

٢ - الكيسانية :-

هم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على و تلميذ محمد بن الحنفية، وقد اتقسم هؤلاء الى طوائف عدة يجمعها القول : بان الدين طاعة رجل و هو الامام عندهم، و من أشهر هذه الطوائف الطائفة المختارية أتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى، كان المختار هذا يقول باسامة محمد بن الحنفية، ثم ادعى المختار أن الوحي ينزل اليه باسجاع، و من تعاليمهم الهدامة أن لكل ظاهر باطنا و لكل تنزيل تاويلا، و لكل مثال فى هذا العالم حقيقة فى ذلك العالم، و قد جهروا بان من عرف الامام فليصنع ما يشاء من ترك الصلوة، و الصيام، و الحج . . .

٣ - الزيدية :-

هم أتباع زيد بن على بن الحسين، و من تعاليم الزيدية جواز اسامة المفضل

مع وجود الافضل، كما مائة أبى بكر و عمر مع وجود أفضل منهما و هو على كرم الله وجهه و ان الامامة خاصة باولاد فاطمة و لاتكون فى غير هم من أبناء على كمحمد بن الحنيفة و بينه - و يمتاز الزيدية من طوائف الشيعة الاخرى بانهم لا يقولون بالبداء ولا بالتقية، و انهم لا يعترفون بعصمة الائمة و باختفائهم، كما انهم لا يعتقدون بفكرة المهدي و رجعة الائمة -

٤ - الامامية :-

هم اكبر طوائف الشيعة الذين ظلوا يمثلون دورا هاما على مسرح الحياة الى اليوم، و قد عرفوا بهذا الاسم لكثرة اهتمامهم بالاسام و تركيز تعاليمهم حول الاسام، و هم يخالفون الزيدية فى انه لا يصح امامة المفضول مع وجود الافضل لذلك كفروا الشيخين و من شايعهما من أصحاب الرسول لمجاوزتهم عهد النبى لعلى بالخلافة صراحة - و فى انهم يعتقدون بان الامامة بعد مصرع الحسين خاصة فى اولاده خرجوا فى سبيلها أو لم يخرجوا، لأن الامام عندهم مستور تقية، و قد خالفوا بذلك عن الزيدية الذين يقولون بعموم الخلافة فى أبناء فاطمة الخارجين فى سبيلها - والامام الاول لدى الامامية هو على بن أبى طالب، و الثانى الحسن بن على، و الثالث الحسين بن على، و الرابع على زين العابدين بن الحسين، و الخامس محمد الباقر ابن على زين العابدين، و السادس جعفر الصادق بن محمد الباقر -

١ - الامامية الاثنا عشرية :-

كان من الامامية فريق كبير اعترف بوفاة اسمعيل بن جعفر الصادق، و عرف هؤلاء بالاثنا عشرية، لان سلة الائمة عندهم تنتهى بالامام الثانى عشر و هو المهدي المنتظر الذى يجب طاعته و ان كان غائبا حتى يؤذن له فى الخروج - و قد قالوا فى

غيبته : انه دخل سردابا بمدينة "سرسن راي"، الواقعة في العراق عندما أريد اعتقاله، و تغيب فيه سنة ٢٦٠هـ، و قرروا أنه سيخرج في آخر الزمان فيملا الارض عدلا كما سلئت جورا -

ب - الامامية الاسماعيلية :-

هذا الفريق من الامامية أبي الاعتراف بوفاة اسماعيل، و قال : انما أظهر أبوه موته تقية من أبي جعفر المنصور، و هو في رأيهم لا يزال حيا الى اليوم، وهو الامام القائم و ان كان مستترا، و أنه سيظهر فيملا الارض عدلا كما سلئت جورا، و تنتهي سلسلة الائمة عندهم بالامام السابع و هو اسماعيل، مستدلين بان الله تعالى جعل الكواكب السيارة سبعا، و السموات سبعا، و الارضين سبعا، و أيام الاسبوع سبعا، فجعل الائمة ايضا سبعا - و منهم من اعترف بموت اسماعيل غير أنهم يقولون ببقاء الامامة في أولاده، و الامام السابع عندهم هو محمد بن اسماعيل لا اسماعيل نفسه، و عرف هذا الفريق من الاسماعيلية بالباطنية، لانهم يرون ان اكل ظاهر باطنا، أو لانهم يقولون بالامام الباطن هو المستور عند هم تقية -

و تعتقد الاسماعيلية الباطنية، ان معرفة الامام جزء من الايمان فمن مات و لم يعرف امامه فقد مات ميتة جاهلية، و للقرآن عندهم ظاهر و باطن، و ليس هناك معنى للتدسك بحرفية القرآن فهو في نظرهم رموز لا شياء يعرفها العارفون -

”المعتزلة“،

١ - نشاتهم :-

يكاد يجمع المؤرخون على أن المكان الذي ظهر فيه هذا الاسم هو مسجد البصرة و يقال : ان الحسن البصرى لما سئل عن مرتكب الكبيرة : أهو ميسن

أم لا؟ فقبل أن يجيب كما يرى الشهرستاني، أو بعد أن أجاب كما يرى غيره بقوله: إنه مؤمن و أمره في كبرىته مفوض الى ربه ان شاء عذبه و ان شاء عفا عنه، قال و اصل بن عطاء: ان صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلقا، و لا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين و هي الفسق، ثم قام من مجلس الحسن و اعتزل الى سارية من سوار المسجد يقرر ما أجاب به، أو طرده الحسن، على اختلاف الروايات فقال الحسن أو اتباعه اعتزلنا واصل، فسمى هو وأصحابه معتزلة، لانه اعتزل قول المسلمين في مرتكب الكبيرة أو اعتزل مجلس الحسن البصرى، و يبدو أن هذا لم يكن أول الاختلاف لو اصل مع أستاذه، فان التلميذ لا يترك أستاذه و لا يطرد من مجلسه بغلظته أولى -

٢ - المبادئ العامة للمعتزلة :-

١ - التوحيد: و قد عد هذا المبدأ من أهم مبادئ المعتزلة لانهم ذهبوا في تفسيره مذهباً خاصاً، و بلغوا في فلسفته أقصى حد، لذلك نسب التوحيد اليهم خاصة، و ان كان المسلمون جميعاً يمتازون بالتوحيد، فقالوا فيه: ان الله وحده ليس كمثل شئ، و نفوا عنه صفات الايجاب و ارجعوها بالتاويل إلى صفات السلوب -

٢ - العدل :-

أما العدل عند هم فهو أن الله تعالى لا يجب الفساد، ولا يخلق أفعال العباد بل يفعلون ما أمروا به و نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم، و ركبها فيهم، و أن الله لم يامر الا بما أراد و لم ينه الا عما كره، و أنه ولى كل حسنة أمر بها، و برى من كل سيئة نهى عنها، و أن أحدا لا يقدر على قبض و لا بسط

الا بقدرة الله التي أعطاها آياه و هو المالك للقدرة، فلو شاء لا جبر الخلق على طاعته، ومنعهم عن المعصية جبرا، وأنه قادر مطلق على ذلك و لكنه لا يفعل اذ كان فى ذلك رفع للمحسنة و ازالة للبلوى -

٣ - الوعد و الوعيد والمنزلة بين المنزلتين :

يرى المعتزلة أن الثواب للمطيع و العقاب لغيره نتيجة حتمية لمبدأ العدل، فلا بد أن يلقى كل جزاءه محسنا كان أو سيئا، و ذلك ما يسمونه بالوعد و الوعيد، و لكن قولهم هذا مرتبط بالمنزلة بين المنزلتين، لأن الايمان عند المعتزلة معرفة و قول و عمل، ولا يتحقق الايمان الا باجتماع هذه الثلاثة، فمن حقق هذه الثلاثة لا بد أن يثاب، لانه داخل فى وعد الله، و وعده لا يتخلف، ثم يقسم المعتزلة المعاصى الى صغائر و كبائر، و أشهر اقوالهم فى الكبائر هى ما أتى فيها الوعيد، و الصغائر ما لم يات فيها الوعيد، و بعض الكبائر عندهم تودى الى الكفر كتشبيه الله تعالى بخلقه، و نسبة الجور اليه فى حكمه، و بعضها لا تبلغ درجة الكفر، و يسمى مرتكبها فاسقا، و الفسق عندهم منزلة بين المنزلتين اى بين الكفر و الايمان، و لا مانع من اطلاق اسم المؤمن على الفاسق تمييزا له عن الكافر لا تكريما له، و لا مدحا له، و صاحب الكبيرة اذا مات و لم يتب لا يجوز أن يعفو الله عنه، لانه أوعده الله بالعقاب على الكبائر، فلولم يعاقبه لزم الخلف فى وعيده -

٣ - الامر بالمعروف و النهى عن المنكر :-

الامر بالمعروف و النهى عن المنكر مبدأ خطير من سبأى المعتزلة، و قد سيطر هذا المبدأ على تاريخهم و اثر فى حياة فرقهم تأثيرا كبيرا - ذلك ان الامر بالمعروف و النهى عن المنكر عند المعتزلة هو بالقلب و اللسان حينا و باليد و السيف

حينما آخر، لأنه لا بد من السيف لتقويم المعوج حينما لا تفلح الوسائل الأخرى، ولا بد من إزالة المنكر ولو كانت بالقوة - ونحن لا نجد في تاريخ الفرق الإسلامية غير الخوارج و المعتزلة فرقة توجب استعمال السيف في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر - لذلك كان هذا المبدأ مبدأ هاما من مبادئ المعتزلة، و دليلهم على وجوب استعمال السيف في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قوله تعالى : ”و ان طائفتان من المؤمنين اقتلوا فأصلحوا بينهما، فان بغت احدا هما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى أمر الله - و قول الرسول ”لتأمرن بالمعروف، و لتنهون عن المنكر و ليمنكنم الله بعذاب من عنده، - و الحكمة في هذا نشر دعوة الاسلام، و هداية الضالين، و ارشاد الغاوين، و لا فرق بين مجاهدة الكفار و الفساق عندهم كما رواه المسعودي ص ٢ ص ١٩٠ -

٥ - تقدير عام للمعتزلة :-

كان وجود المعتزلة أمرا لا بد منه للإسلام، فان بعض المسلمين انساقوا في كثير من الأحيان مع هواهم وحادوا عن الصواب بسبب ما أدخله هؤلاء النصارى و اليهود و المانوية في آراء الفرق الإسلامية من تعاليم أديانهم القديمة، و كان هناك قوم دخلوا في الإسلام نفاقا، و قد بيتوا أمر الكيد له، و القاء الشبه في طريق معتقديه - بل ان هؤلاء اليهود و النصارى وجدوا من حرية الرأي في بعض العصور ما يشجعهم على الجهر بعوائدهم للإسلام، و أخذوا يعلنون اعتراضهم على الإسلام، و يظهرون عقائد هم المهدامة لمبادئ الإسلام، و لم يكن بين المسلمين من يعنى عناء المعتزلة بهذا الأمر، لأن الفقهاء و المحدثين كانوا يعتمدون على النصوص، و المعاند لا يقتنع بالنصوص، و لا يقف عند حدها، و أصحاب الفرق الأخرى كانوا مغمورين في شبه أدخلها عليهم اعداء الإسلام و المسلمين، و قد فتنت الفلسفة

الناس و استهوتهم بطرقها فى الجدل، فقيض الله لهذه المواقف المعتزلة يدافعون عن الاسلام بالعقل والمنطق، و يحاجون أعداء الدين بالفلسفة و الحججة الدامغة، لا يشق لهم غبار، ولا يبلغ أحد مبلغم -

فكان المعتزلة يستخدمون السلاح الذى يشهره أعداء الاسلام، و يجاربون هؤلاء الاعداء بنفس الحجج الفلسفية و الادلة المنطقية، و بذلك نصح المعتزلة و كتب لهم الفوز، و قدموا خدمات عظيمة للاسلام و المسلمين، و لم يقف الامر عند حد قرع الحججة بالحججة بل انطلقوا فى الافاق يدعون للاسلام و يقنعون الناس بمبادئه القويمة، فكانوا خير دعاة الى خير عقيدة، و خير هداة الى خير الدين -

ولا ادعى للمعتزلة السلامة من كل عيب فان بعضهم تطرف فى سباده، و لكن هذا شان كل فرقة من الفرق الاسلامية -

المراجع

- (١) الملل و النحل للشهرستانى
- (٢) فجر الاسلام للدكتور أحمد بك أمين
- (٣) ضحى الاسلام - للدكتور أحمد بك أمين
- (٤) الفرق الاسلامية - للاستاذ محمود البشيشى
- (٥) الفرق الاسلامية - للاستاذ على الغرابى
- (٦) الامامة و السياسة - لآ بن قتيبة
- (٧) الكامل للمبرد
- (٨) البيان و التبيين - للجاحظ
- (٩) مقدمة ابن خلدون لآ بن خلدون
- (١٠) الكامل لآ بن الاثير

